# حماية البيئة من منظور فقهي إسلامي واثر ذلك في الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري

**الدكتور محمد خلف بني سلامه**

**جامعة العلوم الإسلامية العالمية /عمان**

**كلية الشريعة والقانون قسم الفقه وأصوله**

## ملخص البحث :

تهدف هذه الدراسة لبيان دور الاجتهاد الفقهي في علاج ظاهرة الاحتباس الحراري ودور الفقه البيئي في الحد من التغيرات المناخية والتي أصبحت شغل العالم اليوم، فالإنسان هو خليفة الله في الأرض فكل ما على الأرض مسخر لخدمته وما يؤكد هذه الحقيقة الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) (الجاثية/12).

وبقاء الحياة على الأرض مرتبط بوجود طائفة ممن ينهون عن الفساد في الأرض وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة من خلال قوله تعالى: (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ) (هود/116).

وتجلت العقيدة الإيمانية بالمحافظة على البيئة عندما ربط الله عز وجل بين دين الفطرة ومنع الفساد في الأرض في قوله تعالى: (إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر/26).

وأوضحت الدراسة أهمية الفقه البيئي والاجتهاد الفقهي في معالجة ظاهرة الاحتباس الحراري من خلال التأكيد على رعاية الإسلام للأسس البيئة الرئيسية الثلاثة (الإنسان والماء والهواء). وبلورة الفقه البيئي، والتأكيد على مصطلح الفقه لارتباط هذا المصطلح بوعي الإنسان المسلم الذي يقوده إلى ضبط سلوكه في دائرة الحلال والحرام لضبط تصرفاته إيجاباً وسلباً ومن ثم التأكيد على دور الفقهاء في العصور الإسلامية الذين اهتموا بتنظيم علاقة

الإنسان مع البيئة، ودعمه بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية للحد من الظاهرة، والتأكيد على مسؤولية الإنسان في الوجود وهي اعمار الأرض ليكون خليفة الله في الأرض وحماية البيئة وتحميله جزء من هذه المسؤولية وأخيراً التأكيد على أن الإفساد في الأرض سيلحق بالإنسان الهلاك في الحرث والنسل.

## المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد،،،،

فما زالت ظاهرة الاحتباس الحراري لغزاً محيراً بالنسبة للعلماء وبخاصة بعد ارتفاع درجة حرارة المناخ العالمي خلال القرن الماضي، وقد ذهب أكثر العلماء إلى ربط هذه الظاهرة بين المحيطات والتيارات الموجودة وبين درجة حرارة الأرض.

بينما يرى البعض أن هذه الظاهرة تعود الى متغيرات حدثت في أنشطة الشمس، ويرى فريق آخر من العلماء أن سبب هذه الظاهرة هو نشاط الإنسان على الأرض، ويرى الفريق الرابع من العلماء أن سبب هذه الظاهرة هو الإشعاعات الكونية والغيوم التي تؤثر على تغيرات المناخ.

وقد قدم العلماء العديد من المقترحات للحد من هذه الظاهرة وللحد أيضاً من انبعاثات الغازات الضارة وكبح جماحها ويعتمد الفقه البيئي والاجتهاد الفقهي في هذا المجال على مسلمات ثابتة مستمدة من الكتاب والسنة ومما يبنى عليهما من مصادر كالإجماع والقياس، وتأتي أهمية وحتمية وجود دور الفقه البيئي في حماية البيئة ومنع التغيرات المناخية لتثبت للجميع أن الإسلام دين يؤكد على احترام البيئة منطلقاً من الأهداف السامية التي استند اليها. وهذه الأخلاقيات العظيمة رسالة لعالم اليوم الذي طغت عليه القيم المادية حتى أصبح يسير على غير بصيرة من أمره.

والمتأمل في تعاليم الإسلام كمنهج فقهي يدرك مدى شمولية هذا المنهج في غرس المفاهيم عند الإنسان وما قضية التلوث بأبعادها المختلفة والتي يتناولها الفقه الإسلامي باهتمام وحرص بالغين إلا دليل على عمق الرؤيا واستشراف المستقبل في هذا المنهج الفقهي العظيم،

## مشكلة الدراسة :

جاءت هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

1. ما المقصود بظاهرة الاحتباس الحراري؟
2. ما هو دور الاجتهاد الفقهي في حماية البيئة والحد من التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري)؟

## أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة لبيان ما يأتي :

1. المقصود بظاهرة الاحتباس الحراري؟
2. دور الاجتهاد الفقهي في حماية البيئة والحد من التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري)؟

**خطة البحث :**

وعليه فقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي على النحو الآتي :

**المقدمة :**

**المبحث الاول: النظام البيئي والعوامل المؤثرة به.**

المطلب الاول: مفهوم البيئة.

المطلب الثاني : مكونات النظام البيئي والعوامل المؤثرة به.

الفرع الأول : مكونات النظام البيئي.

الفرع الثاني : العوامل المؤثرة بالنظام البيئي.

**المبحث الثاني : أزمة التلوث البيئي وظاهرة الاحتباس الحراري وأثرها في مكونات النظام البيئي**

المطلب الأول : مفهوم التلوث البيئي.

الفرع الأول : مفهوم التلوث.

الفرع الثاني : أزمه التلوث البيئي.

الفرع الثالث : تأثير التلوث على التوازن البيئي.

المطلب الثاني : ظاهرة الاحتباس الحراري وأثرها في مكونات النظام البيئي.

الفرع الأول : أثر هذه الظاهرة على الطبيعة والانسان.

الفرع الثاني : الظواهر المرتبطة بظاهرة الاحتباس الحراري.

المطلب الثالث : أراء العلماء حول هذه الظاهرة ومقترحاتهم للحد منها .

الفرع الأول : مقترحات العلماء للحد من هذه الظاهرة.

**المبحث الثالث: دور الاجتهاد الفقهي في حماية البيئة والحد من التغيرات المناخية (الاحتباس الحراري).**

المطلب الأول : الأسس الأساسية للبيئة في الاسلام .

المطلب الثاني : الفقه البيئي والاجتهاد الفقهي.

المطلب الثالث : دور الفقه البيئي في حماية البيئة ومنع التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري).

**الخاتمة والتوصيات.**

## المبحث الأول : النظام البيئي والعوامل المؤثرة به :

### المطلب الأول : مفهوم البيئة :

أولاً: البيئة في اللغة: المنزل، وقيل منزل القوم، وتبوأ فلان منزلا أي اتخذه، 1قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً).

ثانياً: البيئة في الاصطلاح: عرفت البيئة تعريفات شتى إلا أنها جميعاً تدور حول المحور الوحيد وهو الكائن الحي وقد وضع كلمه (ecologie) عالم الحياة الألماني (ارنست هيكل) 2وذلك بعد دمج كلمتين يونانيتين (oikos) (ومعناها مسكن و(Logos) ومعناها علم) وعرفها بأنها: (العلم الذي يدرس علاقة الكائنات الحية بالوسط الذي يعيش فيه) 3وقد عرفها مؤتمر البيئة الذي عقد في ستوكهولم عام 1972بأنها: (رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الأنسان وتطلعاته) [4] وعليه فإن البيئة هي المكان الذي يمارس الإنسان فيه مختلف أنشطة حياته.

### المطلب الثاني : مكونات النظام البيئي والعوامل المؤثرة به :

إن النظام البيئي هو (ما تحتويه أية منطقة طبيعية من كائنات حية أو مواد غير حية بحيث تتفاعل مع بعضها ومع الظروف البيئية) [5].

### الفرع الأول : مكونات النظام البيئي .Ecosystem

تنقسم مكونات النظام البيئي إلى:

أولاً: المكونات الحية[6] وما تحتويه من أعداد هائلة من الكائنات الحية ذات الأشكال والأحجام المختلفة ولكي تضمن هذه الكائنات استمراريتها للعيش لا بد لها من شروط تقوم البيئة بتوفيرها ومنها:

1- قدرة البيئة على تأمين الحد الادنى من المتطلبات الحيوية .
2- أن لا تحتوي البيئة على مواد لا تتناسب مع الحياة.

ثانياً: المكونات غير الحية 7وتشمل:

1. الغلاف المائي حيث يعتبر الماء أكبر جزء موجود على الكرة الأرضية.
2. الغلاف الجوي ويتكون هذا المحيط من:
   أ- طبقة التوبوسفير وتمتد من سطح الأرض حتى ارتفاع 8-12كم في العروض الوسطى والعليا وحوالي 16-17كم في العروض الاستوائية.
   ب- طبقة إسترتوسفير وتتميز بثبات درجة الحرارة وخلوها من العواصف.
   ج- طبقة الميوزسفير وتتميز بأنها تحتوي على الأوزون.
   د- طبقة الأيونوسفير وتبدأ من ارتفاع (90) كم وقد تصل إلى ارتفاع (360) كم وتتميز بارتفاع درجة الحرارة والتي ترتفع بتزايد الارتفاع.
3. القشرة الأرضية وتشمل الكرة الأرضية وما تحويه من صخور وتربة وتعتبر الطبقة السطحية من القشرة الأرضية.

### الفرع الثاني : العوامل المؤثرة في النظام البيئي :

يؤثر في النظام البيئي مجموعة من العوامل وهي :

أولاً: الموقع: ويشمل 1- الموقع الفلكي. 2- الموقع الجغرافي. والموقع الفلكي: هو ما تحدده دوائر العرض وخطوط الطول، أما الموقع الجغرافي: فهو صاحب العلاقة المكانية للبيئة بالنسبة لما يحيط بها من بيئات [8]وعليه فإن الموقع الجغرافي يعتبر موقعاً متغيراً بعكس الموقع الفلكي ذو الصفة الثابتة.

ثانياً: التضاريس وهي أشكال سطح الأرض إذ تعتبر من أبرز العناصر في النظام الأرضي وتؤثر أشكال الأرض على أنماط النشاط البشري [9].

ثالثاً: التربة وهي الطبقة العليا من قشرة الارض ولها تأثيرها في استقرار الإنسان[10].

رابعاً:البنية وهي تختلف باختلاف التركيب الجيولوجي لها فبيئة البترول الوفير تساهم في دفع السكان للعمل في هذا المضمار وكذلك الحال بالنسبة لبيئة المعادن والمياه الجوفية والتي لها أثرها في استقرار السكان أو ندرتهم[11].

### المبحث الثاني : أزمه التلوث البيئي وظاهرة الاحتباس الحراري وأثرها في مكونات النظام البيئي :

### المطلب الأول : مفهوم أزمة التلوث البيئي :

عندما نتحدث عن التلوث فإننا نشير إلى الحالة القائمة في البيئة والناتجة عن التغيرات التي تستحدث فيها والمسببة للإنسان كالموت أو المرض أو الإزعاج بطريقة مباشرة أو من خلال الإخلال بالنظام البيئي [12] وعليه فإننا سنتحدث عن التلوث بمفهوميه اللغوي والعلمي.

### الفرع الأول : مفهوم التلوث :

أولاً: التلوث في اللغة: من لوث الشيء بالشيء خلطه به ومرسه ويقال لوث الشيء في التراب خلطه به وولكه في الماء حتى انحلت أجزاؤه[13].

ثانياً: التلوث في اصطلاح العلماء: عرّف العلماء التلوث بتعريفات شتى ولكنها في مجملها تركز على التغيير الناتج عن تدخل الأنسان في انظمه البيئة وتسبب أضراراً بشكل مباشر أو غير مباشر للكائنات الحية[14].

### الفرع الثاني : أزمة التلوث البيئي :

من أكبر التحديات التي أخذت تواجه المجتمعات اليوم مشكلة التلوث البيئي بسبب الأنشطة العشوائية التي قام بها الانسان وبسبب التزايد السكاني الهائل والتقدم العلمي في مجال الصناعات متعددة الأغراض والتي أثرت على التوازن البيئي بالإضافة إلى التراكمات المتعددة والمستمرة والتي أسهمت بإحداث الخلل في صفات الهواء والماء والتربة، وبالتالي في كل ما على الأرض ظهر الاختلال في التوازن البيئي وظهرت الأمراض المتعددة والتي أخذت تفتك بالإنسان، ولذلك سنتناول في هذا المطلب أزمة التلوث من خلال تلوث الهواء والماء والتربة.

**أولاً : تلوث الهواء :**

يعتبر الهواء من العناصر الأساسية في الحياه وبدون الهواء لا يستطيع الانسان أن يعيش أكثر من دقائق، ومن المعلوم ان المكونات الأساسية للهواء في الوضع الطبيعي وهو ما يعرف بالهواء النقي [15]وتكون ذات المقادير المحددة حسب الآتي (فيشكل غاز النيتروجين ما نسبته 78٪ والاكسجين21٪ وثاني أكسيد الكربون0.033٪والارغون0,9٪، إلا أنه وبسبب نشاط الإنسان وفعالياته المختلفة أصبحت هذه النسب الطبيعية للهواء غير ثابتة وتساهم الملوثات الناتجة من عوادم السيارات في حقن الجو بنسبة 60٪ من ملوثات الهواء حيت تحتوي عوادم السيارات على الاكاسيد النيتروجينية مثل أول أكسيد النيتروجين وغاز ثاني اكسيد النيتروجين) [16] ويعتبر غاز ثاني اكسيد الكربون هو المسبب لحدوث ما يعرف بظاهرة تسخين الأرض حيث أصبح من المؤكد أن

هناك زيادة سنوية غير طبيعية في تراكيز غاز ثاني اكسيد الكربون تصل إلى 0,7جزء بالمليون بسبب احتراق الوقود وبخاصة المستعمل منه في التدفئة وتوليد الكهرباء والناتج عن عوادم السيارات [17]، ولقد حدثت العديد من كوارث التلوث الهوائي في العالم ومنها حادثة تشرنوبل في الإتحاد السوفياتي عام 1986، وما حصل في مدينة بوبال بالهند عام 1984، وما حصل في مدينة لندن عام 1953، وفي مدينة دونورا البلجيكية، وكارثة بنسلفانيا عام 1948 [18]، وأخيراً نستطيع القول أن تلوث الهواء هو وجود المواد المضرة به- الهواء- سواء كانت هذه المواد سائلة أم صلبة أم غازية والتي يكون لها تأثيراتها السلبية على الإنسان والنبات والحيوان والبيئة عموماً.

**ثانياً: تلوث الماء :**

الماء النقي هو المشتمل على المكونات الأساسية دون ملوثات أو شوائب وعليه فإنه يكون خالياً من اللون أو الطعم أو الرائحة، وبالتالي فإنه لا تغير على خصائصه الكيميائية أو الفيزيائية أو الحيوية[19]، وعليه فإن الماء الصالح للشرب هو الذي يخلو من الكائنات الحية الدقيقة مهما كانت والملوثات الكيميائية أو الصناعية، وتشكل المياه العذبة من مجموع المياه في العالم ما نسبته0,8٪ وعليه فإنه يمكن تعريف التلوث المائي بأنه: (أي تغيير يطرأ على العناصر الداخلة في تركيبه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة نتيجة نشاط الإنسان الأمر الذي يجعل هذه المياه اقل صلاحية للاستعمال) [20].

يقول الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم/41)، يقول أبو محمد الأندلسي هذه الآية جاءت للعبرة ، قال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر، والبحر السواحل والمدن على ضفة البحر والنهر وقال ابن عباس ظهور الفساد في البر قتال بني آدم لأخيهم وفي البحر أخذ السفن غصباً أي الإبحار على الشواطئ دون قيد أو شرط وإلقاء حمولتها في عرض البحر وأضاف ابن عباس رضي الله عنهما الفساد في البحر انقطاع صيده وكل هذه الأفعال بمعاصي ابن آدم[21].

**ثالثاً: تلوث التربة :**

تعتبر التربة مصدرا متجددا من موارد البيئة وتتكون التربة من الماء والهواء والمعادن والمواد العضوية وتكون هذه المكونات القاعدة العريضة لتثبيت النباتات وتزويدها بما تحتاجه من مواد أساسية لبناء أجسامها22وتعتبر التربة موطن الحياة الإنسانية عليه تقوم حضارة الإنسان، لذلك فإن ارتباط الإنسان بالأرض ارتباطاً وثيقاً وعلى الرغم من هذه العلاقة فإن هناك سلسلة من التصرفات اللامسؤولة للإنسان والتي ألحقت الضرر بالبيئة فجعلتها أقل قدرة على احتضان الحياة.

**الفرع الثالث : تأثير التلوث على التوازن البيئي :**

إن المقصود بالتوازن البيئي هو: (حالة الاستقرار الطبيعي لمكونات النظام البيئي وتفاعلاتها وعلاقاتها الوظيفية ومدخلات وظائفها ومخرجاتها) [23].

ويتشكل النظام البيئي من الإنسان والحيوان والنباتات والكائنات الدقيقة ولكل من هذه المخلوقات دورها في المحافظة على التوازن البيئي، إلا أنه وبسبب السلوك الخاطئ والتصرف اللامسؤول للإنسان على البيئة التي يعيش فيها أدى إلى إحداث خلل في توازن النظام البيئي فكان له آثاره السلبية والخطيرة والتي حذر منها الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {11} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) (البقرة/11-12) وقوله تعالى: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة/ 195).

## المطلب الثاني : ظاهرة الاحتباس الحراري وأثرها في مكونات النظام البيئي Global Warming :

قد عرفت الأرض وعلى مدار الأزمنة العديد من التغيرات المناخية والتي عزاها العلماء في حينها إلى أسباب طبيعية كالبراكين والزلازل إلا أن الزيادة غير المعقولة في درجة حرارة سطح الأرض منذ بداية الثورة الصناعية وبخاصة في السنوات الأخيرة مكّن العلماء من الوقوف على أسباب هذه الظاهرة لأن النشاط الإنساني في هذه الفترة كان نشاطاً بارزاً لا يمكن تجاهله أو تجاهل آثاره لتفسير هذه الظاهرة (الاحتباس الحراري) [24].

ويعقد الآن العديد من المؤتمرات العالمية لزيادة الوعي العام بهذه الظاهرة والحد منها لمحاولة تخفيض المنبعث من الغازات المسببة لهذه الظاهرة لحماية هذا الكوكب مما قد تسببه هذه الظاهرة والتي قد تدمر الحياة عليه بشكل كلي وتعرّف هذه الظاهرة بأنها: (ظاهرة ارتفاع درجة الحرارة في بيئة ما نتيجة تغيير في سيلان الطاقة الحرارية من البيئة وإليها) وقد انقسم العلماء حول هذه الظاهرة إلى قسمين فمنهم من اعتبرها ظاهرة طبيعية وهذا الرأي قد أراح الشركات الصناعية الكبرى والرأي الآخر يرى أن هذه الظاهرة هي نتيجة حتمية للتلوث البيئي وحده فقط.25

وقد بدأت بعض الأثار السلبية لهذه الظاهرة والتي تؤكد وجودها وتعلن الإنذار عن قرب نفاذ صبر بيئتنا على هذا الطغيان والمعاملة السيئة لها إذ أن الله عز وجل قد خلق الأشياء وقدرها (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان/2) وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ {204} وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَاد) (البقرة/204- 205)، وقد تأثر العديد من مناطق العالم بارتفاع درجة الحرارة ومنها مناطق البحر المتوسط حيث وصلت درجة الحرارة عام 1987 إلى أكثر من 43 درجة مئوية كما تكرر هذا المشهد في اليونان وجنوب اسبانيا عام 1988 ووصلت درجة الحرارة في موسكو إلى 27 درجة مئوية وفي لندن إلى 19 درجة مئوية ومن المتوقع نتيجة لزيادة ثاني أكسيد الكربون ارتفاع مستوى ماء البحر ليصل إلى 30 سنتميتر عام 2030 م وأن ذوبان مستودعات الجليد في العالم سيؤدي إلى حدوث كوارث غرق الكثير من المناطق في العالم ويجعله عرضة لذبذبات غير محسوبة من المناخ المتطرف ؛ ولذلك يقترح العديد من العلماء في بريطانيا إقامة الحواجز والحصون حول نهر التايمز من أجل وقف الارتفاع المتوقع لمستوى ماء البحر خلال العقود القادمة، كذلك الحال بالنسبة لدلتا النيل وبنغلادش ومياه الخليج والتي من الممكن أن تغمر العديد من المدن الساحلية [26].

ولمواجهة هذه الظاهرة لابد من إعادة التوازن للبيئة من خلال الحد من انبعاثات ثاني اكسيد الكربون في الجو وذلك من خلال التوجه نحو زراعة الغابات الخضراء والتشجير إذ يمكن مثلاً لهكتار واحد من أشجار الجميز امتصاص 7,5 مليون طن من الكربون في العام حيث تنصب جهود العلماء الآن على موضوع التشجير فقد شرعت العديد من دول العالم بتنفيذ مثل هذه المشاريع لمواجهة ظاهرة الاحتباس الحراري، وقد سبق الإسلام كل قوانين الأرض لحماية البيئة والحد من ظاهرة الاحتباس الحراري بقوله ε: (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل وأجره عند الله) [27] وقوله ε عند نهيه عن قطع الأشجار: (من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار) [28] ووصية الصديق رضي الله عنه: (ولا تقطعن شجراً .... ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه) [29].

وعليه يمكن تعريف الاحتباس الحراري بأنه: الزيادة التدريجية في درجة حرارة أدنى طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض وذلك بسبب زيادة انبعاثات غازات الصوبة الخضراء، (greenhouse gases)، وتتكون غازات الصوبة الخضراء من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون ($co_2$) والميثان ($ch_4$) وأكسيد النيتروجين ($n_2o$) والأوزون($o_3$) [30].

**الفرع الثالث : ظاهرة الاحتباس الحراري وأثرها في البيئة :**

فقد خلق الله عز وجل كل شيء بحكمة وتقدير إلا أن الإنسان قد عمل على الإفساد في البيئة التي يعيش فيها، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم/41) وفساد الإنسان على الأرض نوعان : فساد معنوي يتمثل بفساد العقيدة والعبادة , وفساد مادي يتمثل بفساد الإنسان على هذه الأرض بتلويث البيئة بأنواع الملوثات المختلفة ، والفساد هنا يعني أيضاً التغيرات المناخية وكل ما جاوز الحد، والآية الكريمة واضحة بأن ظهور الفساد يشمل البر والبحر وأن المسؤول عن هذا الفساد هو الإنسان وأن بإمكانه الرجوع إلى العقل والحق والصواب إذا ما أراد أن يعيد للبيئة توازنها وللأرض حقها في الحياة ولنفسه الأمن والسلامة.

إن الاحتباس الحراري والناجم كما أشرنا عن زيادة تركز غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو والذي أصبح يزيد عن 30٪ عما كان عليه قبل الثورة الصناعية من جهة وزيادة تركيز الميثان إلى ضعف مقدار تركيزه قبل الثورة الصناعية من جهة أخرى بالإضافة إلى أكسيد النيتروز الذي أصبح أعلى بحوالي 18٪ والكلوروفلوروكربون والذي زاد بمقدار 4٪ سنوياً [31]، وعليه فإن للاحتباس الحراري آثاره البالغة على الإنسان والطبيعة على حد سواء والتي منها[32]:

1- الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي والربو وذلك بسبب تلوث الهواء المرتبط بثقب طبقة الاوزون.
2- الإصابة بالأمراض التي تنتشر بسبب البعوض الذي يعيش في المياه الراكدة والتي من أبرزها (التهاب السحايا ،الكوليرا ،الملاريا والحمى الحمراء .... الخ) وذلك بسبب هجرة الحشرات والدواب الناقلة لها.
3- الإصابة بضربات الشمس بسبب ارتفاع درجات الحرارة.
4- حدوث التغيرات المناخية الكبيرة في العالم بسبب ارتفاع درجات الحرارة ومن أهم هذه التغيرات المناخية (الجفاف, الأعاصير, الفيضانات).
5- انخفاض نوعية مياه الشرب في الكثير من المناطق.
6- التسبب بخسارة الكثير من الثروة السمكية انتشار الأمراض في هذه الثروة.
7- انقراض الكثير من أنواع الطيور والنباتات.
8- انخفاض إنتاجيه بعض الموائل الطبيعية الحيوية ومن أهمها الشعاب المرجانية والغابات المدارية والتي يتبعها انقراض الكائنات الحية.
9- انتشار المساحات الواسعة من الأراضي القاحلة وانخفاض الانتاج بسبب الجفاف وتأثر المحاصيل بتغيرات درجه الحرارة.
10- الخراب في المناخ واختلاف مناطق الضغط المرتفع والمنخفض.

**المطلب الثالث : أبرز الظواهر المرتبطة بظاهرة الاحتباس الحراري:**

مع بدايات الثورة الصناعية وبحلول عام 1850م ظهر ارتفاع تركيز ثاني اكسيد الكربون الجوي الناتج عن إحراق الوقود الاحفوري والذي يؤدي ارتفاعه في الجو إلى إلحاق الضرر بالكائنات الحية ذات البناء الضوئي حيث يقوم ثاني اكسيد الكربون وبمساعدة غازات أخرى في الجو باحتجاز بعض حرارة كوكب الأرض مما يجعل الارض أكثر سخونة .

ويلقي العلماء باللائمة على النشاط البشري لحصول هذه الظاهرة إذ يقدر العلماء أن ترتفع درجة الحرارة على الأرض ما بين درجتين إلى ست درجات مئوية فسبحان القائل: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (الروم /41). في حين لو كان هذا الخلل طبيعياً فإنه يأقلم نفسه بنفسه ومن أبرز الظواهر المرتبطة بهذه الظاهرة[33]:

1- ذوبان الجليد في القطبين وفوق قمم الجبال.
2- الارتفاع في مستوى المياه في البحار من 0,3-0,7 قدم والناجم عن ذوبان الجليد.
3- الارتفاع في درجة الحرارة ما بين 0,4-0,8 درجه مئوية.
4- قصر فترات موسم الشتاء كما أخذ هذا الموسم بالدفء خلال العقود الثلاثة الاخيرة.
5- أخذت التيارات المائية داخل المحيطات بتغير مجراها مما أثر على التوازن الحراري الموجود فظهرت الأعاصير في الكثير من الأماكن التي لم تكن تظهر فيها من قبل.
6- ازدياد الفيضانات وحدوث غرق للمدن الساحلية والجزر المنخفضة.

## المطلب الرابع : آراء العلماء حول موضوع هذه الظاهرة[34] :

ما زالت هذه الظاهرة لغزاً محيراً بالنسبة للعلماء وبخاصة بعد ارتفاع درجة حرارة المناخ العالمي خلال القرن الماضي حيث أخذ الجليد في القطبين بالذوبان بشكل ملحوظ ويرى بعض العلماء أن هذه الظاهرة تعود إلى التلوث الحاصل في البيئة فقط حيث يرى هؤلاء بأن هذه الظاهرة شبيهة بالدفيئات الزجاجية حيث يعمل التلوث على تقوية مفعول التدفئة لأشعة الشمس وتعمل أدخنة المصانع والأدخنة الخارجة من عوادم السيارات كعمل الدفيئة الزجاجية فتكون سبباً في ارتفاع درجة حرارة الأرض. ويربط البعض من العلماء هذه الظاهرة بين المحيطات والتيارات الموجودة وبين درجة حرارة الأرض حيث تعتبر هذه التيارات بمثابة نظام تكييف للأرض إلا أن هذه التيارات كما يرى هؤلاء العلماء قد غيرت مجراها مما قلب التوازن الحراري.

ويعزو بعض العلماء هذه الظاهرة إلى تغيرات حدثت في أنشطة الشمس ويرى البعض الآخر من العلماء أن السبب في هذه الظاهرة يعود إلى نشاط الإنسان على الأرض والمتمثل في تكرير البترول ومحطات الطاقة وعوادم السيارات حيث يرى هؤلاء العلماء بأن الغازات المسببة لهذه الظاهرة تتراكم في غلاف الأرض نتيجة للنشاط الانساني مما يؤدي الى ارتفاع درجة الحرارة. ويرى البعض الآخر من العلماء أن هذه الظاهرة مرتبطة بالإشعاعات الكونية والغيوم التي تؤثر على تغيرات المناخ حيث أشار علماء المناخ في معهد ماكس بلانك بهايدلبرغ أن هناك علاقة ما بين هذه الأشعة والتغيرات المناخية فوق الأرض حيث وجد أن هناك كتلاً تؤدي إلى ظهور الأشكال النووية والتي تتحول إلى غيوم لها دورها الأساسي في عمليات المناخ إذ يقوم جزء منها بعمليات البرودة[35].

### الفرع الأول : مقترحات للحد من ظاهرة الاحتباس الحراري :

إن العالم في يومنا هذا يسلط الضوء على ظاهرة الاحتباس الحراري- ارتفاع حرارة الأرض- ويسعى جاهداً للبحث عن الوسائل المختلفة للحد من انبعاثات الغازات الضارة لكبح جماح هذه الظاهرة والتي تعتبر قضية عالمية سيكون لها تأثيرها على كل إنسان على وجه الكرة الأرضية ولذلك بدأ العلماء بالبحث عن أفضل الطرق للحد من هذه الظاهرة حيث قدموا العديد من المقترحات والتي كان منها[36]:

1. بناء ألواح زجاجية ضخمة في مسارات دقيقة من الغلاف الجوي تقوم هذه الألواح بعكس جزء بسيط من أشعة الشمس نحو الفضاء وقد قدم هذا الاقتراح العالم روجر انجل من جامعة اريزونا.
2. وضع مظلة من الكبريت في الغلاف الجوي حيث يتمكن الغلاف الجوي بمنع نسبة من الأشعة الشمسية اذا وضعت هذه المظلة والتي ستشكل الغلاف الواقي والقادر على عكس الأشعة الشمسية وصاحب هذه الفكرة العالم الالماني باول كروتزين وهو المكتشف لمسببات الثقب في طبقة الاوزون.

3. زراعة نبات العوالق لإمتصاص ثاني أكسيد الكربون والذي يعتبر من أهم أسباب هذه الظاهرة وصاحب هذه الفكرة هو العالم الاسترالي إيان جونس.
4. قذف السحب بماء البحر من خلال يخوت خاصة تصنع لهذه الغاية حيث تساعد هذه الفكرة في حماية الغلاف الجوي من أشعة الشمس والتي تزيد من حرارة الجو وصاحب هذه الفكرة جون لاثام والعالم ستيفن سلاتر.
5. تطوير نباتات صناعية تتمكن من امتصاص ثاني أكسيد الكربون وصاحب هذه الفكرة هو العالم كلاوس لاكنر. والحل الأمثل يكمن في الغابات الاستوائية التي تعتبر العامل الأكبر في إبطاء هذه الظاهرة، فالأشجار تقوم بإمتصاص الماء من الأرض مما يعمل على تشكيل السحاب التي تحمي الأرض من الأشعة الشمسية.

وعليه فإن زراعة الأشجار هي العامل الأبرز في حماية البيئة والحد من تآكل التربة. يقول ε: (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليفعل وأجره عند الله عظيم). 37 وقوله ε: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طائر أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) [38].

## المبحث الثالث : الفقه البيئي والاجتهاد الفقهي لحماية البيئة ومنع التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري).

### المطلب الأول : الأسس الأساسية للبيئة في الاسلام :

**الأساس الأول : الإنسان :**

وهو خليفة الله في الأرض، والكون مسخر له قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً....) (البقرة/30) وقد ذكر صاحب الظلال في تفسير هذه الآية إن المشيئة الإلهية أرادت أن تسلم هذا الكائن الجديد أمور الأرض لإبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتركيب والتحليل لكشف ما في الأرض من إمكانيات وكنوز وخيرات، وتسخير كل هذا للمهمة الكبرى وهي عمارة الأرض وذلك بسبب ما وهب لهذا الكائن من طاقات [39]، وعليه فإن خلافة الإنسان في الأرض تعني أن يكون الإنسان سيداً في هذا الكون وليس سيداً للكون , وعليه فإن ملكية الإنسان للموارد الطبيعية في هذا الكون هي ملكية منفعة لا ملكية رقبة , فالمال هو مال الله والبشر جميعاً هم عباد الله [40].

يقول الله تعالى: (لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ) (المائدة/120) ويقول الله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (البقرة/36)، وبالتالي فإن حق الأجيال بالانتفاع بهذه الموارد محفوظ بهذه الآيات الكريمة، وعليه فإنه ليس من حقِّ هذا الانسان تدمير أصل العين الذي ينتفع به لأن هذا الانتفاع ليس قاصراً عليه دون غيره (إذ أن سلطة التصرف الشرعي في العين ليست من حق المنتفع وإنما هي من حق صاحب العين) [41]، وبما أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض فكل ما على الأرض مسخر لخدمة الإنسان وما يؤكد هذه الحقيقة الآيات القرآنية يقول تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ) (الجاثية/12) وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ {10} يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {11} وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {12} وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ {13} وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل/ 10-14) وقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {24} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً {26} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً {27} وَعِنَباً وَقَضْباً {28} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً {29} وَحَدَائِقَ غُلْباً) (عبس/ 24-30) وتتوالى الآيات الكريمة في ذكر ما سخره الله للإنسان في هذا الكون ولولا

هذا التسخير الالهي للأشياء لما استطاع الإنسان الافادة منها , وهذ التسخير لا يكون إلا بإرادة الله عز وجل: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) (الرحمن/33) وقوله تعالَى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ {68} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ {69} لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة/ 68-70).

وعليه فإن هذه النعمة التي أنعمها الله على الإنسان ما عليه- الإنسان- إلا العمل على تسخيرها لخدمة مجتمعه وإخوانه من بني البشر لإعمار هذا الكون من خلال البحث العلمي والتجربة الفاعلة.

**الأساس الثاني : الماء :**

قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء/30) ولدور هذا العنصر في كل نواحي الحياة فقد جعله القرآن الكريم أداة من أدوات المحاور العقدية قال الله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة/22) وقال الله تعالى في معرض تحديه للبشر عند عدم الاعتراف بنعم الله عليهم: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) (الملك/30) وباعتباره معجزة من معجزات الله تعالى للبشر فقد جعله الله تعالى مشاعاً بين الناس قال ع: (الناسُ شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار) [42].

وقد أكد الإسلام على ضرورة المحافظة على الثروة المائية وعدم تلويثها ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى (أن يبال في الماء الجاري) [43] وقد مر ع بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له: لا تسرف فقال أو في الماء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار [44]، كما أشار القرآن الكريم إلى اعتبار الماء معجزة من المعجزات التي خلقها الله تعالى فقال تعالى بعد أن قرن الماء مع دلائل عظيم صنعه (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ {10} هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) (لقمان/10)، كما أكد القرآن على أن نزول الماء هو بقدر حتى لا يحدث الخلل بالتوازن البيئي فقال تعالى: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ) (القمر/11)، وقال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون/18)، وقال تعالى: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً) (ق/8).

**الأساس الثالث : الهواء :**

لو أمعنا النظر في التركيبة العلمية[45] الدقيقة التي يتكون منها الهواء لوجدنا عظمة الله عز وجل في خلق العناصر التي يتكون منها محيط الانسان أنه صنع الله (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل/88)، وعليه فإن الهواء من العناصر الأساسية في حياه الكائن الحي إلا أن هذا العنصر قد تعرض للتلوث بفعل الانسان وتصرفه اللامسؤول حتى إن بعض ملوثات الهواء قد تكون سامة وذلك تبعاً لطبيعة الشوائب قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) (الروم/41) وقد كان للحروب التي شهدها العالم أثر كبير في استنزاف الموارد الطبيعية حيث تركت آثاراً مدمرة على النظام البيئي وعلى مقومات الحياة في هذا الكوكب كما كان للصناعات المختلفة آثارها البالغة في التأثير على التوازن البيئي وكذلك الحرائق. ومن هنا، نجد أن في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً) (الأنبياء/32) دليلاً على حفظ الله عز وجل لهذا الكوكب من الاثار المدمرة التي قد يلحقها الانسان به.

## المطلب الثاني : الفقه البيئي والاجتهاد الفقهي :

في المجال البيئي لا بد من بلورة تصور واضح لفقه بيئي اسلامي وفق الكتاب والسنة وذلك من خلال التطبيق العملي لآيات الكتاب والسنة وأحاديث الرسول ε، والحديث عن الفقه الاسلامي البيئي يعتمد على مسلمات ثابتة مستمدة من الكتاب والسنة أو مما يبنى عليهما من مصادر كالإجماع والقياس وعليه فإن لنا مرجعية ثابتة في كتاب الله العزيز (الم {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) (البقرة/ 1-2) وقوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام/ 38).

من هذه المنطلقات والتي تكاملت مع قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة/3) فإن عملية بناء (الفقه البيئي) والتأصيل له أمراً أكيد مع التأكيد على مصطلح (الفقه) لإرتباط هذا المصطلح بوعي الإنسان المسلم الذي يقوده إلى ضبط سلوكه في دائرة الحلال والحرام والذي يقود بدوره لضبط تصرفاته إيجاباً أو سلباً.

وقد أولى الفقهاء القدامى البيئة كل الاهتمام ترجمة لنصوص الوحي بشقيه وإننا نذكر هنا على سبيل المثال ما قدمه كل من الإمامين أبي حنيفة ومالك رحمهما الله من أسس تحدثت عن شرعية ممارسة الحق المؤدي إلى الضرر أو ما أشار إليه ابن قدامه من قيود على استخراج المياه الجوفية من خلال حديثه عن عدم أحقية الجار في التأثير على بئر جاره[46].

كما تحدث الفقهاء عن إحياء الأرض الموات والذي يؤدي بدوره إلى توازن النظام البيئي وحمايته والذي تأكده الآن الدراسات العلمية الحديثة باعتباره من أهم العوامل في حماية البيئة من ظاهرة الاحتباس الحراري كما تحدثوا عن الزروع والنباتات وما يتصل بهما من أحكام تحميها وتحافظ عليها، كما تحدث الفقهاء بتفصيلات واضحة عما يعرف بالتلوث الصوتي باعتباره ضرراً يجب أن يدفع عن الإنسان , ومن هؤلاء ابن الرامي وابن الماجيشون والاصبغ كما أكد ابن عبد الرافع على منع بناء الحظائر الخاصة بالحيوانات بالقرب من مباني السكان لما تسببه من ازعاج لهم[47]، وبالبحث والنظر نجد أن الاجتهاد الفقهي في مجال البيئة وحمايتها من التلوث قد استند الى القاعدة الأصولية: (إن أحكام الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد في الحياة وبعد الممات) وبناءً عليه نجد أن علماء الأصول في علم الشريعة قد أكدوا على أن الشريعة تسعى لخلق البيئة الأمثل للإنسان ليقوم بوظيفته وهي الإعمار وخلافة الأرض وذلك من خلال الحفاظ على الضرورات الخمس (حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل).

وبناءً على ذلك نجد أن صاحب الفطرة المختلفة أداة من أدوات الفساد والهدم لأنه لا يملك كبح جماح شهواته وأنانيته في حب الذات ومن خلال البحث والإجتهادات الفقهية البيئية نجد أن الفقهاء في العصور الإسلامية قد اهتموا بتنظيم علاقة الإنسان مع بيئته ولكن بما يتناسب وبساطة الإنسان آنذاك ولذلك فإن تدوين الفقه البيئي أو الاجتهاد الفقهي البيئي كان في إطار حاجياتهم بخلاف ما يعانيه الاجتهاد الفقهي اليوم بسبب معاناة البيئة والمشاكل البيئية والتي تظهر في كل يوم وكان آخرها ظاهرة الاحتباس الحراري والتي أصبحت تؤرق العديد من دول العالم في سبيل البحث عن أنجع السبل للوصول إلى حلول ملائمة لها.

ولذلك نجد أن الأحكام الفقهية التي أسست لفقه البيئة قائمة على حديث رسول الله ε: (لا ضرر ولا ضرار)[48] والذي أصبح فيما بعد قاعدة من أشهر القواعد الفقهية يدور في فلكها مجموعة من القواعد الفقهية الأخرى مثل (الضرر لا يزال بضرر مثله) و(الضرر يزال بقدر الإمكان) و(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[49] وعلى هذه القواعد أسست أسمى الأحكام لحماية البيئة ومنع استغلالها والدعوة للمحافظة عليها والتي شكلت فيما بعد أسس الفقه البيئي بالإضافة الى هذه القواعد الفقهية التي قام عليها الاجتهاد الفقهي فقد كان لنظام الحسبة والمحتسب هذا

النظام الرقابي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوراً في حماية المجتمع من مظاهر الفساد المختلفة بالإضافة الى دوره في توجيه المجتمع التوجه الراقي حيث كان المحتسب يتدخل في منع مجاري الاوساخ الخارجة من البيوت وأن يهتم الخباز بتنظيف فرنه قبل الإستعمال ومنع الغش ومراقبة صانعي الدقيق ....الخ [50]كما كان لجهود العديد من العلماء والاطباء المسلمين الدور الأكبر في الوقوف على مشاكل البيئة والتلوث البيئي ومن هؤلاء الرازي والكندي والمطران الدمشقي والزهراوي وابن خلدون الذي يعتبر تلوث الهواء من أسباب كثرة الوفيات وابن القيم الذي يعتبر فساد الهواء سببا من أسباب الطاعون [51]، وعليه فانه ينبغي النظر في حاجاتنا الماسة لفقه بيئي يقدم الحلول المناسبة للتعقيدات الناشئة في عالم اليوم خاصة بعد ظهور الكثير من المشكلات البيئية العالمية والتي أصبح العالم عاجزاً عن حلها وفي ضوء الطروحات الدولية المختلفة لا بد للاجتهاد الفقهي أن يقدم للعالم صورة نموذجية لفقه بيئي يتناسب مع مشاكل البيئة العالمية اليوم وبذلك يرقى هذا الاجتهاد إلى مستوى مواكبة التطورات التي يشهدها العالم حتى لا تشكل هذه المشكلة المعاصرة تحدياً صعباً للفقه والفقهاء المسلمين وأن هذا ممكن من خلال 52:

1- توسيع دائرة التفكير الفقهي والولوج في القضايا المعاصرة ووضع حلول لها من خلال فتح باب الإجتهاد وتحديد المنهجية الواضحة للإجتهاد المعاصر بما يتناسب وأولويات الواقع.
2- ملازمة التطورات العلمية والتكنولوجية للوقوف على الواقع المعاصر للعالم وعدم الجهل به لأن الجهل به من أخطر التحديات التي تواجه المجتهد في العصر الحاضر.
3- العمل على نشر الثقافة العلمية والتكنولوجية وجعلها ركناً أساسياً وداعماً لمؤسسات الإجتهاد الفقهي ككليات الشريعة وذلك للوقوف على النوازل التي قد يشهدها العالم، بناءً على هذا يمكن للإجتهاد الفقهي البيئي أن يأخذ دوره الريادي وأن يؤسس لموسوعة فقهية إسلامية قادرة على أن تقدم الحل الأمثل لقضايا البيئة وأهمها ظاهرة الاحتباس الحراري.

### المطلب الثالث : دور الفقه البيئي في حماية البيئة ومنع التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري) :

تأتي أهمية وحتمية وجود دور للفقه البيئي في حمايه البيئة ومنع التغيرات المناخية لتثبت أن الإسلام دين يؤكد على احترام البيئة منطلقاً من جملة من الأهداف السامية والتي من أبرزها:

1- تنمية الوعي بفقه البيئة لدى الانسان وذلك من خلال التأكيد على دوره في خلافة الأرض وعمارتها والتي تنبثق من معارف الوحي (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ...) (البقرة/30) وهذه الخلافة يترتب عليها مسؤولية عظيمة فهي امتحان وهي خاضعة للرقابة قال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ...) (يونس/14)، وقوله ص : (إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون) [53]وعليه فإن الرؤية الإسلامية تدل على أن خلافة الإنسان في الأرض تتضمن امتحانا للإنسان ليعقب هذا الامتحان الحساب ؛ هل تعامل مع البيئة وفق التوجيه الرباني أو الإفساد في الأرض؟!.
2- إحداث التوازن بين العناصر المختلفة للبيئة بما يحقق السعادة للبشرية جميعاً، فالنظام البيئي ما هو إلا عبارة عن (قطاع معين من الطبيعة يشكل بما يحتويه من عناصر وموارد حية نباتية وحيوانية وعناصر غير حية وسطاً تتعايش فيه عناصره وموارده في نظام متكامل تحكمه القدرة الإلهية وحدها دون أدنى تدخل بشري أو إنساني) [54].
3- تنمية مفهوم الفقه البيئي لدى الإنسان المسلم حتى يتمكن من مواجهة مختلف القضايا المعاصرة ومن أولوياتها قضية منع التغيرات المناخية (ظاهرة الاحتباس الحراري) ووضع الحلول المناسبة لها وذلك من

خلال وضع الاجتهادات الفقهية التي تحرم الكثير من الاعتداءات المستمرة بحق البيئة والتي يعاني منها عالمنا اليوم بسبب البعد عن القيم البيئية الإسلامية والتي تعتبر بمثابة نبراس للإنسان تجاه بيئته وهذه القيم تتمثل في قيم المحافظة وقيم الاستغلال وقيم التكيف والإعتقاد وقيم الجمال، وعليه فان الفقه البيئي يقوم على مجموعة من المقومات الأساسية والتي تشكل في مجملها دور الفقه البيئي في منع التغيرات المناخية والمحافظة على البيئة وأهمها:

**أولاً : التوازن البيئي أساس الحياة :**

حيث نبهنا الله عز وجل إلى أن كل مخلوق في هذه البيئة له دوره في الحياة لبقائه وبقاء غيره وكان لنا في قصة سيدنا نوح عليه السلام مثلاً قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ..) (هود/40)، وقوله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) (المؤمنون/ 27).

وقد عبر الله تعالى في آياته العظيمة عن هذا التوازن الخلاق لتكون الارض طوعاً للإنسان الذي جعله الله خليفته في الأرض ليقوم بعمارتها ومن ذلك قوله تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ) (الرعد/ 8) وقوله تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان/2)، وقوله تعالى: (وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ...) (الحجر/19). هذا التوازن البيئي جعله الله نعمة عظيمة لخير مخلوقاته ولذلك فأي اعتداء عليه يؤثر في جماله وبناءه البديع ويعمل على قتل هذا التوازن الخلاق والذي يعتبر أكبر اعتداء على البيئة ليشكل في النهاية منظومة من المتغيرات التي تحدث الخلل في النظام البيئي.

**ثانياً : التلوث سبباً في التغيرات المناخية :**

حيث يعتبر الخلل الذي يعترض عناصر البيئة المختلفة من ماء وهواء ويابسة وسكينة أسباباً في الإخلال بتوازن البيئة، إذ نبه القرآن إلى قيمة وأهمية الماء قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء/30)، وقال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ {68} أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ {69} لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة/67-70) وقال ε (الناس شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار) [55].

كما نهى ε عن التبول بالماء الجاري (لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه) [56] وقال تعالى: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ {10} يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الدخان/10-11)، وقوله ص: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) [57] وقوله ص: (اتقوا الملاعن الثلاث, البراز في الموارد وفي قارعه الطريق وفي الظل) [58].

كما أثبتت الدراسات العلمية أن الضوضاء لها التأثير الأكبر على صحة البشر وتعتبر أكبر الآفات على السكينة العامة[59] إذ أن الضوضاء التي تصدر في الشارع العام تلحق الأذى في المشاعر وتؤثر على وظائف أعضاء جسم الإنسان[60] ولفظ السكينة ورد في أكثر من موضع في القرآن الكريم ففي قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا.....) (الفتح/4)، وفي قوله: (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ...) (الفتح/18).

**ثالثاً** : **إنسانية التعامل مع النظام البيئي** :

ويظهر ذلك جلياً واضحاً في الأسس الشرعية التي وضعها الاسلام في التعامل مع كل مكونات البيئة الحية حيث الرجل الذي دخل الجنة بالكلب والمرأة التي دخلت النار في هرة[61] ووصية الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة ، وقوله ε: (إذا ذبح أحدكم ذبيحة فليريح ذبيحته...) [62].

**رابعاً** : **اعمار الأرض والسلوك العقائدي نحو البيئة** :

فقد قال المولى سبحانه: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة/30)، وقال تعالى: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (هود/61) وعمارة الأرض تتم من خلال منع الاعتداء على خيراتها وما فيها من ثروات قال تعالى: (وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (هود/85).

وقد حث الإسلام على إحياء الأرض الموات وقال ε: (لا يغرسن المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة) [63] وقال ص أيضاً: (إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) [64] لا بل أن الإسلام يعتبر زراعة الأشجار من الصدقات الجارية بقوله ص: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته وذكر منها أو غرس شجرة)( [65] وهذه جميعها قواعد ثابتة مصدرها الوحي الالهي وقد جعل الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة تصل إلى حد التنفيذ للأوامر واجتناب النواهي .

**خامساً** : **إفساد الحياة في الاعتداء على البيئة** :

فقد حرم الاسلام الفساد بكل أشكاله وعليه فإن أي تغيير يلحق بأي عنصر من عناصرها هو إفساد لها وهو أمر محرم حرمته الشريعة الإسلامية وهو جزء من عقيدة المسلم قال تعالى: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (النمل/14) وقوله تعالى: (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (القصص/77).

وقد أوضح القرآن الكريم أثر الفساد والذي قد يلحق بالبيئة والذي لا يقف أمام مساحة كونية واحدة لا بل أنه ينتشر في كل أرجاء الدنيا بحرها وبرها قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...) (الروم/41) فبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة ظهور الفساد وأسبابه وما يترتب عليه من نتائج وأن الفساد في الأرض سيلحق بالإنسان الهلاك في الحرث والنسل والحرث ما هو إلا محل نماء الزروع والثمار والنسل هو النتاج الحقيقي للإنسان والحيوان، وعليه فإن فساد الحياة يكون بهلاك الحرث والنسل [66] قال تعالى: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) (البقرة/205)، لذلك أشار القرآن الكريم إلى أن بقاء الحياة على الأرض مرتبط بوجود طائفة ممن ينهون عن الفساد في الأرض قال الله تعالى: (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ) (هود /116).

وقد تجلت العقيدة الإيمانية بالمحافظة على البيئة عندما ربط الله عز وجل بين دين الفطرة ومنع الفساد في الأرض، وذلك في قوله تعالى: (إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر/26).

وعليه نرى أن التصور الإسلامي لحماية البيئة ومنع التغيرات المناخية جلياً واضحاً في كل نواحي الحياة وقد رعى الفقه البيئي الاسلامي الطبيعة فذكر الزرع والنبات والجنات لأهميتها للإنسان والحيوان ولدورها في حماية البيئة وتجميلها لراحة النفس الإنسانية ومسؤولية الإنسان في الوجود هي الاعمار ليكون خليفة الله في الأرض، وعليه فينبغي أن يكون تعامله مع البيئة التعامل الموزون والمعقول وهذه مؤشرات واضحة في الفقه البيئي الاسلامي فقد أكرم الله سبحانه وتعالى الانسان في تحقيق المسكن الطيب الآمن والطعام الطاهر والماء العذب وهي ركائز الحياة

البشرية، وتتضح التطبيقات الإسلامية لعمارة الأرض واضحة منذ عهد الرسول- ε- وذلك في إحياء الأرض الموات ومنها أيضاً رسالة سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى الأشتر النخعي لما ولاه مصر (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك من استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير العمارة خرّب البلاد واهلك العباد) ، فقد راعى الفقه البيئي الاسلامي جميع أبعاد المشكلة البيئية حيث اتسم الفقه البيئي الإسلامي بالشمولية وهذا واضح من خلال التدابير الوقائية في مجال الصحة وسلامة النفس والإهتمام بالطبيعة والإعتدال في الإستهلاك.

وهذا دليل على عظمة هذا الدين وشموليته في مختلف نواحي الحياة وما أجدر أن يكون التشريع نابعاً من عقيدة الأمة التي تعالج المشكلة وقائياً بلسان عربي غير ذي عوج تريد الخير للإنسان أينما وجد وتسعى لإسعاد البشرية لتنقذها من الأزمات وطرق الفساد[67].

وكان الفقه البيئي واضحاً في منهجه في حماية البيئة من خلال:

**أولاً : حماية الهواء من التلوث :**

وما له من أثر في التغيرات المناخية التي أصابت العالم اليوم والذي كان له الأثر الأكبر في ما يعرف بالإحتباس الحراري، قال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر/49) حيث يتضح من هذا النص القرآني أن الله عز وجل قد خلق النظام الكوني بتوازن وقدر دون طغيانٍ لمكون من مكوناته على الآخر قال تعالى: (وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ) (الرعد/8 )، فقد خلق الله عز وجل مكونات الهواء التي هي جزء من النظام البيئي بنسب معينة لتناسب حياة الإنسان والكائنات الأخرى والحقيقة العلمية تتفق مع القرآن الكريم حيث ثبت أن الهواء عبارة عن مزيج من الغازات بنسبها المعينة وهي النيتروجين والاكسجين وثاني اكسيد الكربون، وبقايا وآثار بسيطة من غازات النيون والزينون والهيدروجين والهيليوم وبخار الماء، إلا أن الإنسان بعصيانه لأوامر الله تعالى ومن خلال الأنشطة التي يقوم بها والتي تدخل ضمن دائرة افساد البيئة وأخرج النظام البيئي عن طبيعته الملائمة، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ {11} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) (البقرة/11-12).

**ثانياً: حماية الماء والغذاء من التلوث:**

حيث يشكل الماء المصدر الرئيسي لحياة الكائن الحي وهو عنصر الحياة في هذا الوجود لذلك فقد حرص الإسلام على حمايته من التلوث حيث تقوم المصادر المائية بانتاج70٪ من الاكسجين اللازم للحياة[68] قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء/3)، وقد دعا الإسلام إلى ضرورة عدم استنزاف هذه الثروة أو إهدارها والمحافظة عليها، قال ε: (لا تسرف في الماء وإن كنت على نهر جار)[69] ومن خلال هذا التوجيه النبوي الكريم الذي أدرك قيمة قطرات الماء جاءت دعوته ε إلى ضرورة المحافظة عليها نقية طاهرة (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ فيه) 70وقد استعمل الرسول ε الأسلوب الوقائي في حماية الماء من التلوث فقال ε: (اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد وفي الظل وفي طرق الناس)[71] والمقصود بالموارد هنا، أي مصادر المياه حيث اثبتت الدراسات العلمية أن التبرز في الماء من أسباب انتشار طفيل الدودة الكبدية والتي تسبب الكثير من الأمراض ومنها المغص الكبدي والسعال، كما يؤدي التلوث المائي إلى انتشار ميكروبات الكوليرا والتيفوئيد وغيرها ومن الأساليب الوقائية أيضاً قوله ε: (غطوا آنيتكم واذكروا أسم الله)[72]، وهذا التلوث يلحق الضرر الاكبر في النظام البيئي والإضرار هنا يدخل في دائرة الحرام ( وأن ما أدى إلى حرام فهو حرام)[73].

وقد سببت الانحرافات المختلفة بفعل النشاط الإنساني تجاه مصادر الغذاء المختلفة إلى تلوث الغذاء وانتشار الأمراض المختلفة والتي قد تصل إلى الإصابة بالاختلال العصبي ولذلك فقد دعا الإسلام إلى تقديم هذه المواد الخالية

من أي عيب أو غش قال ع: (من غشنا فليس منا) [74] وعليه فإن التعاليم الإسلامية جاءت شاملة تؤكد على حماية عناصر البيئة- الماء والغذاء- من كل مصادر التلوث قال تعالى: (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة/59) لأن هذا كله يؤثر في وظيفة الإنسان الأساسية وهي الخلافة وما يتبع ذلك من تأثير على البيئة والذي يؤدي بدوره إلى إحداث التغيرات المناخية أو ما يعرف بظاهرة الاحتباس الحراري.

### ثالثا : حماية النفس من خطر التلوث :

فقد دعا الإسلام إلى حفظ النفس وسلامة العقل وذلك من خلال التدابير الوقائية والاحتياطات اللازمة التي تتسم بالشمولية والعمق وهذا جزء من القانون الالهي قال تعالى: (إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ ....) (لقمان/15)، وعلم الله الأزلي يدرك أن الإنسان قد يتعرض لمخاطر مختلفة مع تطورات الحياة قال تعالى: (مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) (المائدة/32)، ومصادر التلوث المختلفة ما هي إلا خطر من الأخطار التي تهدد الانسان في حياته من خلال السموم التي يبثها التلوث وقد تطرق الإسلام من خلال أحكامه إلى وضع تدابير وقائية واضحة لحماية النفس الإنسانية من مصادر هذا الخطر- التلوث- والناتج عن انحراف الإنسان في هذا الكون حيث يسعى الإنسان إلى مقاومة الحشرات التي تغزو البيئة بسبب الإهمال البيئي بإستخدام المبيدات وهذه مواد في طبيعتها سامة تدخل جسم الانسان عن طريق الرئتين فتسبب الأمراض المختلفة والقاعدة الفقهية تقول (الضرر لا يزال بمثله أو بضرر أكثر منه) [75] علماً أن قواعد التشريع الاسلامي دعت إلى أن يكون الإنسان نظيفاً في مظهره وجسده قال تعالى: (خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (الأعراف/31) أي عند كل صلاة وهذه الدعوة من الله عز وجل لأن يكون الإنسان نظيفاً على الدوام قال ع: (إذا توضأ العبد فتمضمض، خرجت الخطايا من فمه فإذا استنشق خرجت الخطايا من نفسه..) [76].

وقد أشير إليها في أحاديث أخرى بالشيطان أو النجاسة أو الخبث [77] يقول ع: (قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد ما طال تحتها) [78] وقد أثبت العلم الحديث أن ما تحت الاظافر بيئة مناسبة للميكروبات والطفيليات يقول ع: (حق على المسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل فيها رأسه وجسده) [79]، وأحاديث الرسول ع في هذا كثيرة منها قوله ع: (إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك) ، [80] وقوله ع: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) [81] وقوله ع: (من كان له شعر فليكرمه) [82].

كما حرم الإسلام البصاق على الأرض باعتبارها بيئة الإنسان التي يعيش فيها وهو جانب من جوانب حماية النفس قال ع: (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة وكريم يحب الكرم فنظفوا أفنيتكم ودوركم) [83]، وقوله ع: (البصاق على الأرض في المسجد خطيئة وكفارتها ردمها) [84]، فالبصاق على الأرض عاملاً من عوامل نشر الميكروبات في البيئة لذلك جاء قوله- ع- بردمها كأسلوب لعلاج المشكلة، وقوله ع: (من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم) [85].

هذه جملة من الأدلة الشرعية في حضارة الإسلام الراقية التي ترفض كل أسباب التلوث، ومن الجوانب المشرقة للتشريع الإسلامي في حماية النفس دعوته إلى أن يكون المؤمن قوياً في عقله وجسده قال ع: (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) [86] وقوله ع: (لا ضرر ولا ضرار) [87] فحارب الإسلام كل ما يلحق الضرر بصحة الإنسان ويؤكد هذا حديث الرسول ع: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به) [88] ومن جوانب حماية النفس في التشريع الإسلامي حمايتها من التلوث التي تنتقل عن طريق الحيوانات يقول ع: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب) [89]، حيث ثبت علمياً أن التراب مطهر جيد ومعقم للقضاء على الميكروبات

والجراثيم، كما تجلت حماية النفس من التلوث في أبهى صورها في دعوة الاسلام إلى زراعة الأشجار حيث ثبت علمياً أن لها دوراً مهماً في تنقية الأجواء الملوثة، كما تعمل على راحة النفس وطمأنتها وهدوئها وسكينتها كما تعتبر من أفضل الوسائل الآن لمنع ظاهرة الاحتباس الحراري التي يعاني منها العالم اليوم قال تعالى: (وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ) (الرعد/4).

ومن تجليات التشريع الإسلامي في حماية النفس من مصادر الازعاج والفوضى التي تسبب التوتر والقلق للإنسان كما قال تعالى: (وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ) (لقمان/ 18) وقوله تعالى: (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) (الإسراء/110) كما ثبت علمياً أن الجنين في رحم أمه يتأثر بشدة البيئة التي تعيش بها الأم.

وهذه كلها أسس ثابتة في منع التغيرات المناخية –الاحتباس الحراري– لأن سلامة عقل الإنسان وجسده وصحته سبباً في حماية البيئة.

هذه الأخلاقيات رسالة لعالم اليوم الذي طغت عليه القيم المادية حتى أصبح يسير على غير بصيرة من أمره ليدرك أن الإسلام يتعامل مع البيئة بأسلوب راق وحضاري فيه الرحمة والجمال الحقيقي والمتأمل في تعاليم الاسلام كمنهج فقهي يدرك مدى شمولية هذا المنهج في غرس المفاهيم عند الإنسان وما قضية التلوث بأبعادها المختلفة والتي تناولها الفقه باهتمام وحرص بالغين إلا دليل على مدى عمق الرؤيا واستشراف المستقبل في هذا المنهج العظيم.

**الخاتمة :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين إذ بلغ البحث نهايته بتوفيق من الله وفضله فإنه من المناسب أن أقدم أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أولاً: أن ظاهرة الاحتباس الحراري من الظواهر الخطيرة التي أصبحت تؤرق العالم في هذه الأيام (وهي شغل العلماء الشاغل ولا زال العلماء في العصر الحديث يبحثون عن الحلول المناسبة للحد منها) وصحية نتيجة لمخالفة الناس أحكام شريعة الله.

ثانياً: هناك توافق كبير بين الشريعة الإسلامية والعلم في هذا العصر للحد من هذه المشكلة.

ثالثاً: هناك توافق كبير بين الشريعة الإسلامية والعلم في العصر الحاضر في توصلها إلى الآثار الناجمة عن ظاهرة الاحتباس الحراري على الإنسان والطبيعة وما يرتبط بهذه الظاهرة من ظواهر.

رابعاً: حددت الشريعة الأركان الأساسية للبيئة (الإنسان والماء والهواء).

خامساً: مواكبة التطورات التي يشهدها العالم حتى لا تشكل هذه المشكلة المعاصرة تحدياً صعباً للفقه والفقهاء المسلمين.

سادساً: حتى نحافظ على البيئة يجب علينا تنمية الوعي بفقه البيئة.

**التوصيات :**

1. توسيع دائرة التفكير الفقهي والولوج في القضايا المعاصرة ووضع حلول لها ومنها ظاهرة الاحتباس الحراري.
2. العمل على نشر الثقافة العلمية والتكنولوجية وجعلها ركناً لمؤسسات الاجتهاد الفقهي وذلك للوقوف على النوازل التي يشهدها العالم.
3. ملازمة التطورات العلمية للوقوف على الواقع المعاصر للعالم وعدم الجهل بالمستجدات الحديثة.
4. تنمية الوعي بفقه البيئة لدى الإنسان وذلك من خلال التأكيد على إعمار الأرض.
5. جعل منهاج الفقه البيئي إلزامياً في المدارس والجامعات لزيادة الوعي بهذا الفقه لدى الشباب.

الهوامش :

1. (1) لسان العرب، الإمام أبي الفضل بن منظور، مجلد 39/1، باب بوأ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968.
2. (1) عالم حياة، ولد في بوستدام (1834- 1919).
3. (1) علم البيئة، أحمد رشيد وهناء الحسن رشيد، ص5، دار الإنماء العربي، بيروت، 1976.
4. (1) البيئة، د محمد الفقي، ص18، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1993.
5. (1) الموقع الالكتروني، kenanaonline.com.
6. (1) جغرافية البيئات، محمود شاكر، ص 9، المكتب الإسلامي، بيروت، 1978.
7. (1) البيئة ومشكلاتها، رشيد الحمد ومحمد الصباريني، ص47، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979.
8. (1) البيئة والإنسان علاقات ومشكلات، د. زين الدين عبد المقصود، ص9، ط 1، دار عطوره للطباعة والنشر، القاهرة،1981.
9. (1) مدخل الجغرافية الطبيعية، د. يحيى فرحان وآخرون، ص137، ط1، جمعيه عمال المطابع الأردنية، عمان، 1988.
10. (1) ومثال ذلك ما حدث في نيجيريا عندما أرادت أن تتوسع في زراعه الكاكاو في منطقه غرب وسط البلاد ولم تنجح على الرغم من نجاحها غرب البلاد، مدخل الجغرافية الطبيعية، مرجع سابق، ص139.
11. (1) المرجع السابق نفسه، ص138.
12. (1) الموقع الالكتروني www.kenana online.com.
13. (1) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، الجزء الثاني، لوث ص851، المكتبة العلمية، طهران.
14. (1) المسؤولية الدولية عن الأضرار الناتجة عن تلوث البيئة، د. جابر إبراهيم، ص18، مطبعه الإدارة المحلية، بغداد، 1983.
15. (1) كيمياء التلوث البيئي، عدنان مساعده، ص 47، ط1، شركة مطابع الشعب، الأردن، 1997.
16. (1) التلوث البيئي، عدنان مساعده ومحمد اللافي، ص21-22، ط1، الروزنا للطباعة، اربد، الأردن، 1996.
17. (1) كيمياء التلوث البيئي، مرجع سابق، ص49.
18. (1) التلوث البيئي، مرجع سابق، ص57.
19. (1) علم المياه العذبة، فريال إبراهيم الحميم، ص35، جامعة البصرة، 1986.
20. (1) كيمياء التلوث البيئي، مرجع سابق، ص134.
21. (1) المحرر الوجيز، لأبي محمد الاندلسي11/ 464-465، ط1، الدوحة، 1977.
22. (1) كيمياء التلوث البيئي، مرجع سابق، ص187.
23. (1) جمعية البيئة الأردنية بالتعاون مع مؤسسة فريدريش ناومان، ص154، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1993.
24. (1) الموقع الالكتروني www .knayma.com.
25. (1) الموقع الالكتروني www. majdah.maktoob.com.
26. (1) ظاهرة الصوبة- جون جريبين- ترجمة أحمد مستجير، ص147، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 وكيمياء التلوث، مرجع سابق، ص27-28.
27. (1) مسند أحمد ، حديث رقم ( 12512) ، 59/26 .
28. (1) مسند أبي داود ؛ حديث رقم ( 4561 ) ، 480/13.

29. (1) موطأ مالك حديث رقم ( 858 ) ، 322/2.

30. (1) الموقع الالكتروني www.ypcye.com www.alhandasa.net www.amjad67.jeeran.com.

31. (1) الموقع، www.ypcye.com .

32. (1) الموقع الالكتروني www.ypcye.com www.amjad68.jeeran.com www.furatnuss.com

33. (1) الموقع الالكتروني www.amjad67.jeeran.com ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

34. (1) كيمياء التلوث البيئي، مرجع سابق، ص27.

35. (1) الموقع الالكتروني .www.amjad67.jeeran.com

36. (1) بحث بعنوان حلول البيئة لمعالجة الاحتباس الحراري، فرحان الشهراني- طالب دكتوراه- جامعة أكسفورد البريطانية، ص128.

37. (1) سبق تخريجه .في صفحة 10

38. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 2151 ) ، 118/8.

39. (1) في ظلال القرآن، سيد قطب، 50/1، دار العلم للطباعة والنشر، الطبعة 12، جدة، 1986.

40. (1) الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ص257.

41. (1) حماية البيئة في الفقه الإسلامي، أحمد سلامه، ص295، مجلة الأحمدية، عدد شهر مايو، 1998، دبي.

42. (1) رواه أبو داود، جزء2، ص53.

43. (1) صحيح مسلم ، حديث رقم ( 423 ) ، 152/2 .

44. (1) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ( 419 ) ، 16/2 .

45. (1) يتكون الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية من غاز النيتروجين الذي يشكل نسبة 78٪والاكسجين21٪ وثاني أكسيد الكربون0.033٪ والارغون0,9٪ ، عدنان مساعده، مرجع سابق، ص47.

46. (1) نحو نظرية إسلامية عن البيئة، ضياء الدين سيدار، ص78، 1994.

47. (1) البيئة ومشكلاتها وقضاياها وحمايتها من التلوث، رؤية إسلامية، محمد عبد القادر الفقي، ص86، مكتبة ابن سينا، القاهرة .

48. (1) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ( 2331 ) ، 143/7 .

49. (1) درر الحكام شرح مجلة الاحكام ،علي حيدر،37/1،تعريب فهمي الحسيني،دار الكتب العلمية،بيروت.

50. (1) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الشيرازي، تحقيق السيد العريني، ص185، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1981.

51. (1) الطب النبوي، ابن القيم، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ص141، دار الوعي، حلب، ط4.

52. (1) الدورة التاسعة عشر لمنظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، إمارة الشارقة، الإمارات...

53. (1) صحيح مسلم ، حديث رقم ( 4925 ) ، 286/13 .

54. (1) قانون حماية البيئة الإسلامي، د.أحمد عبد الكريم سلامه، ص30، القاهرة، 1996.

55. (1) بغية الحارث ، 145/1.

56. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 232 ) ، 398/1.

57. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 419 ) ، 217/2.

58. (1) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ( 323 ) ، 393/1 .

59. (1) النظرية العامة للضبط الإداري، محمود سعد الدين الشريف، مجلة مجلس الدولة، ص106، 1956.

60. (1) الضبط الإداري في النظم الوضعية المعاصرة والشريعة الإسلامية، د.حسن درويش، العدد7، ص65، أكتوبر 1985.

61. (1) مسند الإمام احمد ، حديث رقم ( 7854 ) ، 396/16.

62. (1) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ( 3163 ) ، 344/9.

63. (1) سبق تخريجه .في صفحة 10

64. (1) سبق تخريجه .في صفحة 10

65. (1) جامع الأحاديث ، حديث رقم ( 13016 ) ، 238/13 .

66. (1) مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، د. إبراهيم علي حسن النحاس، ص4، المؤتمر الثالث عشر، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

67. (1) التلوث البيئي، عدنان مساعده ومحمد اللافي، ص77، الروزنا للطباعة، الأردن، 1996.

68. (1) المرجع السابق نفسه، ص81.

69. (1) سبق تخريجه .في صفحة 15

70. (1) سبق تخريجه .في صفحة 19

71. (1) سبق تخريجه .في صفحة 19

72. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 3059 ) ، 83/11 .

73. (1) درر الحكام،مرجع سابق،39/1.

74. (1) صحيح مسلم ، حديث رقم ( 146 ) ، 265/1.

75. (1) درر الحكام ،مرجع سابق،35/1.

76. (1) شعب الإيمان ، حديث رقم ( 2618 ) ، 259/6 .

77. (1) التلوث البيئي، عدنان مساعدة وزميله، ص86.

78. (1) سبل السلام ، 325/6 .

79. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 847 ) ، 418/3.

80. (1)المستدرك على الصحيحين ، حديث رقم ( 610 ) ، 151/2 .

81. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 1798 ) ، 18/7 .

82. (1) سنن أبي داود ، حديث رقم ( 3632 ) ، 215/11 .

83. (1) جامع الأحاديث ، حديث رقم ( 6880 ) ، 72/8 .

84. (1) صحيح البخاري ، حديث رقم ( 398 ) ، 179/2.

85. (1) المعجم الكبير للطبراني ، حديث رقم ( 2978 ) ، 296/2.

86. (1) صحيح مسلم ، حديث رقم ( 4816 ) ، 142/13.

87. (1) سبق تخريجه .في صفحة 17

88. (1) سنن الترمذي ، حديث رقم ( 2341 ) ، 443/8.

89. (1) صحيح مسلم ، حديث رقم ( 420 ) ، 121/2.